

صفحة الدراسات في «البناء»، أنشئت لتكون مساحة للابحاث العلمية المتعلقة بشتى المواضيع ذات الصلة في قضايا الأمة والعالم العربي. وهي إذ تنسج لمثل هذه الدراسات تبقى مجالاً مفتوحاً للحوار وطرح الإشكاليات الفكرية

## المواطنة بين الدولة الدينية والدولة المدنية في الانتفاضات العربية

# الدولة المدنية العربية في سياق صراعها مع المشروع التكفيري

في القسم الثاني من دراسة د. خيرالله يعرض الكاتب تداعيات الثورة المصرية من ميدان التحرير وصولاً إلى انتخاب الرئيس عبدالفتاح السيسي رئيساً للجمهورية، مروراً بحاولات الإخوان المسلمين أخوة الدولة عبر الدستور والقوانين والأنظمة. ومن ثم يشير د. خيرالله في دراسته إلى مسار الأحداث في الجمهورية العربية السورية منذ اندلاع نار الحرب الدولية على سورية والأخذة بالشعارات الدينية التكفيرية حتى هذه اللحظة التي تشهد الصراع القاسي والمدمر بين هذه التنظيمات والدولة السورية.

يشير د. خيرالله إلى أن الانتفاضات العربية كافة كانت من دون قيادات حزبية، ما جعلها مطيةً للإرادات الأجنبية التي أخذت تتدخل في الشؤون الداخلية. كما يشير إلى المحاولة الخليجية الهادفة إلى خلجثة الدول العربية سياسياً واجتماعياً وثقافياً والتي هي جزء من المشروع الأكبر الصهيوي.أميركي.

### خليل خيرالله\*

2 – في مصر:

أدت انتفاضات «الشعب يريد إسقاط النظام» في الساحات المصرية منذ كانون الثاني 2011 إلى سقوط الرئيس حسني مبارك في 11 شباط 2011 معتمه برغبة التوريث السياسي وأفكار الناس والتسلط. وتصدرت ثنائية العسكر-الإسلاميين المشهد السياسي الذي قام برعاية اميركية بين المشير طنطاوي ومرشد الإخوان المسلمين محمد بديع، قبل أن يفرد النيس محمد مرسي بالرئاسة، برعاية أميركية. ويبعد المشير طنطاوي والفريق سامي عنان في 11 آب 2012 وفي المرحلة الأخيرة الانقلاب على مرسي في 3 تموز 2013 وبعيء الرئيس عبدالفتاح السيسي رئيساً للجمهورية في أوائل حزيران 2014 عقب إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية المصرية.

كانت الرياض وعمان وابو ظبي من داعمي الرئيس السيسي واعترفت به أميركا بعد تردد دام أحد عشر شهراً وكذلك الاتحاد الأوروبي والاتحاد الأفريقي مع تنازلات أتثيوبية للقاهرة، لم تغلها منذ عشر سنوات، بشأن سد النهضة وحصيتها من مياه نهر النيل، مع زيارة لها مغاز سياسية حصلت رأسا للجزائر. إن الصعود الاجتماعي للثقافي التنظيمي للإسلام السياسي قد بدأ أوائلا لتكون العشرين ويوصل إلى الحكم ثنائياً عام 2011، رغم أن الإخوان المصريين لم يشاركوا في إضراب 25 كانون الثاني 2011 الذي فجر الثورة وركزوا على الإصلاح فقط. ثم انفرد الإسلاميون بالسلطة مع الرئيس محمد مرسي قبل أن يسقطه الجيش المصري.

وكانت مصر تشهد دائما صراعاً بين إسلامها السياسي المتمثل بالإخوان المسلمين والحكم، بين الدولة المدنية كمشروع حزبي وبين الحكم المدني المعترف بالشرعية كصدر أو كالمصدر الرئيس للشرع.

إنص الدستور الأول لعام 1923 في الفقرة «ظ» على أن «الإسلام دين الدولة»، والفي دستور عام 1952 الحياة الحزبية وركز أهلي السلطة والتشريع بيد الضباط. وقد نص دستور عام 1971، ولأول مرة، على أن مبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيس للشرع، وعدلت تلك المادة لاحقا في عام 1980 لتكون «المصدر الرئيس للشرع»<sup>(١)</sup>، وتعكس تلك التعديلات الحالة المزاجية السائدة وتوازناات القوى داخل المجتمع في ظل تنامي نفوذ التيارات الإسلامية.

وفي ما يتعلق بمرحلة الانتفاضة، فقد ظهرت في مطلعها بقوة الأفكار الاديعة لضرورة كتابة الدستور المصري بما يتفق مع التطورات والواقع السياسي فاقصد المجلس الأعلى للقوقات المسلحة الإعلان الدستوري في 30 آذار بعد استفتاء عليه جرى في 19 مارس 2011<sup>(2)</sup>، وعلما بالإعلان الدستوري

قامت الجمعية التأسيسية بوضع دستور مصر 2012 بعد انتخابات الرئاسة المصرية التي آنت بالرئيس مرسي.

والواقع أن الإخوان المسلمين شكلوا يسرعة لجنة قانونية كما يرغبون لإعداد المشروع «اختصارا للوقت وتسهيل الأمر على الهيئة التأسيسية...»<sup>(٣)</sup>، وقد أثار مشروع دستور مصر 2012 حوارا وجدلا عميقا استمر مدة ستة أشهر وانقدته قوى المعارضة بشدة وتم إقراره في أيلول 2012 بعد استفتاء شعبي حاز فيه على 64 في المئة من الأصوات واعتراض 36 في المئة من أصل 32 في المئة من المقترعين.

والواقع أن الإخوان المصريين استغلوا تفوقهم الانتخابي لإعداد تشكيل المجتمع وميكلته وفقا لرؤاهم الثمانيّة، وللمعال على ذلك ما طرحه السفليون حول المادة الثانية من

الدستور من اقتراح إقامة محكمة شرعية عليا للبت في مدى مطابقة القوانين والدستور لأحكام الشريعة الإسلامية. كما أنهم رفضوا تعيين نائب قبطي للرئيس وطلبوا بحقائب وزارية بعينها.

وفي إطار أخوة الدولة، طرح الإخوان تحويل نظام البلاد من رئاسي إلى برلماني بحيث يسود رئيس الجمهورية ولا يحكم ويتولى رئيس الوزراء ممثل الغالبية الإخوانية مسؤولية الحكم كاملة، وهذا بلغي الإخوان سلطات رئيس الجمهورية ويستولون على البرلمان كغالبية وعلى السلطة التنفيذية.

وتضمّن دستور الإخوان تعديل طبيعة الدولة بحيث تصبح دولة مدنيّة «ذات مرجعية إسلامية»، لأن هذا ما توافقت عليه «الأمة» من خلال الغالبية البرلمانية المنتخبة.

رفضت أحزاب المعارضة هذا الدستور وأثار حزب الدستور،

44 سببا لرفض دستور الإخوان المسلمون،<sup>(٤)</sup> من أهمها:

أن الدستور تم سلقه باحتراف وأن أفكارهم، من دون وجود مادة تشير للإخوان، هي في كل مادة خاصة المواد الانتقالية والمواد التي تسمح بتقييد الحقوق والحريات وتكريس الحكم الاستبدادي. ويضيف حزب الدستور أن الدستور قنّ العزل السياسي من دون محاكمة عادلة في المادة 232 (وتم عزل من قضاة المحكمة الدستورية في المادة 233). وأنه يؤسس دولة دينية في إطار الدولة المدنية، ليس من باب تطبيق الشريعة فهي تطبيق منذ زمان بعيد، بل من باب اشتراط ممارسة حقوق وحريات المواطنين الأساسية في العيش والحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية بما لا يخالف فهم الفقهاء للشريعة الإسلامية بدل أن يحميها الدستور، وفهم وقد لاحظ حزب الدستور أن الصراع السياسي ليس بين

# البناء

والسياسية وغيرها، تنشيطاً لدور الثقافة في الصبورة الاجتماعية. علماً أن الآراء التي ترد على مساحة الصفحة تعبر عن أصحابها وليست بالضرورة مطابقة لقناعات الصحيفة.

لإناته انطلاقاً من القناعة الراسخة بضرورة خلق حوار فكري حول القضايا والإشكاليات كافة وما

# دراسات 13

أكثرها، والتي تقرض نفسها على صاحب القرار والمنقف وقادة الرأي والمواطن في أي موقع كان، كانت صفحة الدراسات في «البناء» هي الترجمة العملية لهذه القناعة آملين أن تشكل هذه الصفحة مساحة فكرية .سياسية تعنى بيهوم الوطن والمواطن، تدرس الحاضر لترسم المستقبل.



مرسي

السيسي

مبارك

مالبرونو

الخنطاري

## «أثر الانتفاضات العربية

## على المواطنة في العالم العربي»... مؤتمر دولي بجامعة البلنمد

في حضور نخبة من الباحثين والأكاديميين من كل أنحاء العالم آسيا، أفريقيا، أوروبا وشمالى أميركا، افتتحت كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة البلنمد مؤتمراً دولياً بعنوان «أثر الانتفاضات العربية على المواطنة في العالم العربي».

تكلم في الجلسة الافتتاحية منسّق المؤتمر الدكتور سامي عفيش، مشيراً إلى الأنظمة السياسية التي تولي الأهمية للواجبات على حساب الحقوق في العلاقة بين المواطنين والدولة. ثم تطرّق إلى عملية التغيير التي تعصف بالعالم العربي منذ بعض الوقت في محاولة لتحديد العلاقة بين الانتفاضات – التي طالبت بالكرامة والحرية والعدالة الاجتماعية – والمواطنة في العالم العربي من خلال دراسة الجوانب المتعددة الأبعاد للمواطنة.

أما عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدكتور جورج دورليان، فتكلم على غياب المواطنة ومفهوم الدولة، والعلاقة بين الانتفاضات والمواطنة التي يشوبها الغموض، مشيراً إلى أن مسانر الانتفاضات لم يبلغ هدفه المنشود، فالانتفاضات لم تؤدّإلى ترسيخ دور الفرد وفكرة المواطنة بل غرقت في مآهات الصراعات حيث تقترق المنتفضون أفراداً وجماعات، فأسجبن في المجال لقوى لا تقيم للمواطن مكانة ولا للمواطنة موقعاً إن تنتهز العنصرية وترتفع على كاتفة المواطنين. وختم قائلاً إن مجتمعاتنا لا تزال مكوّنة من «جماعات»، والجماعات هي الصفة المخفّفة التي تطلقها على المجموعات البشرية التي تعود بناها إلى القبائل.

ثم كانت الكلمة لحطيب المؤتمر الدكتور جيلبير الأشقر، الذي طرح موضوع الانتفاضات العربية، مشيراً إلى أن الإحباط الحالي لهذه الانتفاضات هو على قدر التفاؤل المفرط الذي ساد في السنة الأولى في عام 2011. وأضاف إلى أنه تمّ إسقاط نموذج الثورات الملونة على الواقع العربي، ولقت إلى إلى أن هذا النموذج يتناقى مع خصوصية المنطقة، كما وأضاف أن «الانفجار الثوري التي شهدهت المنطقة العربية ناتج عن إعاقة اقتصادية لعدة عقود أدّت إلى الغليان والانفجار الذي حصل». واختتم مداخلة قائلاً إننا أمام سيرورة ثورية طويلة الامد بسبب الحركات الرجعية الدينية التي باتت في تناحر مع النظام القديم.

اختتم اليوم الأول بحلقة نقاش شارك فيها الدكتور مضر قسيس، عبر السكايب، الذي قال إن الدولة في العالم العربي تحولت من حامية لحقوق المواطنين إلى حامية للنظام النيوليبرالية، ولمقايسس التجارة العالمية، حيث أصبح معنى المواطنة غير واضح.

بدوره، عرض الدكتور غسان خالد إشكالية المواطنة في الفكر السياسي العربي، مشيراً إلى طغيان مفهوم القبليّة السياسية، حيث استمرت الأنظمة في استخدام مفهوم متناقض مع فكرة المواطنة وهو فكرة الرعيّة المورثة من الفكر البدني.

أما الدكتورة تجلا حمادة، فطرقت إلى وجود فكر رجعي ضدّ فكرة القومية والمواطنة. من ناحيته، ربط الدكتور خليل خير لله كلمة المواطنة بمفاهيم الحقوق في ما وصفه بالدولة– الأثمة، وميّز بين الدولة الدنيّة والدولة المدنية مشيراً إلى أن مفهوم الدولة المدنية الضامنة للمواطنة قد غاب أو غيّب في الانتفاضات لمصلحة دولة دينية.

وفي حلقة النقاش الأخيرة، تكلمت كل من الدكتورة كارولين سنغنيش والدكتورة نورا عسّاف على تأثير الانتفاضات على المواطنة في لبنان.

#### \* دكتور في الحقوق

أن مجرد قيام الانتفاضات لا يحل مشاكل المجتمع والدولة، رغم ضرورتها التاريخية، بل قد يفضي الى فوضى تصلح لتدخل الخارج واستتماراته أو لحلول الأحزاب الدينية البعيدة عن مطالب الانتفاضات البعيدة عن حقوق المواطنة، بدليل اشتراكهم بها عن بعد، بحيث يصبح همّ الشعب البحث عن استقراره واعتماد التوافق بين مكونات المجتمع السياسية وفي طليعتها القوى المتنافسة، وهذا ما يفسر أن أحزاب الانتفاضات في دول مثل تونس ومصر لم تحصل في الانتخابات على نصيب يعادل من قريب أو بعيد حجم نضالها في الشارع، وبقيت على نشرتهاها تجاه تنظيم خصومها، وبالتالي على هامش النتائج.

وكان هم الساسة في تونس «إيجاد التوافقات السياسية والعبور بالمجتمع نحو برّ الأمان... ولذلك بدت الثورة هناك «أقل الثورات راديكالية» وأكثرها تعبيراً عن الميول التصالحية للمجتمع.»<sup>(٤)</sup> إن خض ستعقّف الحزب الواحد القائد، جعل مشكلات المجتمع والدولة تطغى على سطح الأحداث، بل تزداد حدة، لجهة البطالة والفقر وضرب الاقتصاد واختلال الأمن وصعود الجماعات السابقة لوجود الدولة والمؤسسة عصبيتها على الطائفة والعشائرية والعرقية والتي أشغلت جيوشنا وكشفت هشاشة الاسس التي قامت عليها دولنا في الجمهورية السورية. أصبحت الانتفاضات معارك حزبية وسياسية دخلتها كل مكونات المجتمع وكل دول الأقليم ومعظم دول العالم حتى خرجت عن كونها انتفاضة شباب لحريةهم وكرامتهم وظهرت تنفذاً لخطط وحشية مدمرة للدولة وللمجتمع ومدمرة للدين حين مرّغته بوحل السياسة والتخلف والإرهاب المنظم غير المسبوق.

يقول نصري الصير المسموق: «غلب الإسلام السياسي بأزماته الدينية عروبة مدنية قست على عروبيها فاحتل الفراغ الفكري الأمتك. الربيع العربي (الحراك المدني) شوّبه الاستعصاء المدني، اختلفة الإسلام الرسمي بالآلة والنظ ودمره الاستبداد العسكري.»<sup>(٥)</sup>.

ويرى ناهض حنّز: «مشكلة الفاشية الدينية الإرهابية التي حلت ببلدان الربيع العربي هي مشكلة أمنيّة وسياسية كما هي مشكلة فكرية وأخلاقية. وسيطرة الفاشية الدينية تتخطى في عنفها حتى أنظمة الاستبداد لأنها لا تقع المعارضين السياسيين فقط بل تتدخل في تفاصيل حياة الفرد ومسلكه وضميره فتخضع لنظام رجعي صارم دونه غباب النص المنطقي. والمشروع الذي رايئنا يتبلور في ما سمي «الربيع العربي» لا يتعدى كونه مشافها، ومشروع خلعنة البلدان العربية جمعاء، سياسيا واجتماعيا وثقافيا. وإخضاعها كليا للمركز القضي الخليجي»<sup>(6)</sup>. إن مرآية سياسات الدول اللاحية في الساحة السورية وتصاريح مسؤوليها يدرك كيف يتمّ زرع «الفوضى الخلاقة» وتدمير العراق والجمهورية السورية، والعمل على تفتيتها الى مكونات «شرق أوسط جديد» لم يحلم بها لا سايكس ولا بيكو، بما يضمّن مصالح أعدائهما.

وتنقد الجمهورية السورية بصمود جيشها ومؤسسات دولتها، رغم تضرر مراقفها الحيوية، كما بالنقاف شعبي حول رئيسها أظهرته الانتخابات الأخيرة، ما يطرّح سؤالاً مبكراً عن بقائها كدولة فاعلة قادرة حالياً أو مستقبلا على تطبيق حقوق المواطنة والسماح بإنشاعة ثقافة المواطنة في فكرة الحرية وتناقؤ الفرص والمساواة والتي لا يمكن إدراكها إلا بالديمقراطية الدستورية التي تنظم العلاقات في المجتمع وتحتم تطبيق مبادئ دستورية صارمة تحضنه بشكل فعال، ويتمّ ذلك عبر مراجعة عميقة للدستور، وفق ما بلغتة المنظومة الفكرية والحقوقية في العالم، وليس بمجرد تعديلات جزئية أو فوقية.

أخيراً، الكفأت الانتفاضات الليبراليّة وحل مكانها المدّ المدني المنظم المدعوم من دول الغرب وحلفائها الإقليميين والممول من الخليجيين، فاستدرك الشعب والجيش، في تونس ومصر، العودة الى الدولة المدنية ومحاولة تطويرها بينما تفرق الجمهورية السورية في عراق يطرّح على المحكّ مصير الدولة المدنية الحاضنة لجميع المكونات الشعبية والتي ألبنت صمودها أو «دولة الخلافة» الناقية لكل تعدد أو إيمان مختلف.

### هوامش

- مصر تجربة ديمقراطية وتشريعية غنية، أشرف حمدي (سفير مصر في لبنان)، صياغة السانتر في التحولات الديمقراطية– المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، منشورات المكتبة الشرقية/ بيروت 2014 ص 103
- www.constitution.gov.eg/arabic/laws/constitution /www.egypt.gov.eg
- http:// www.aldostourparty.org
- MALBRUNO Georges. CHESNOT Christian. Les chemins de Damas: le dossier noir de la relation franco-syrienne. édit. Robert Laffont. 9 octobre 2014
- أيهم مرعي، ثلاثة مناهج في مدارس الحسكة وتعدد الزوجات ممنوع، جريدة الأخبار العدد 2440. الاثنين 10 تشرين الثاني 2014
- ورد كاسو،ح. تونس: أسئلة الانتخابات الاخيرة، جريدة الاخبار، العدد2440. الاثنين 10 تشرين الثاني 2014
- نصري الصايغ، فصل النهايات: ولادة البيع المتوحش، السفير، 16/10/2014
- ناهض حنّز، جريدة الأخبار، عدد 2430. الثلاثاء 28 تشرين الاول 2014



المظاهرات ضد حكم الإخوان



اعتصامات ميدان التحرير



التكفيريون في سورية